و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

نورٌ على نور

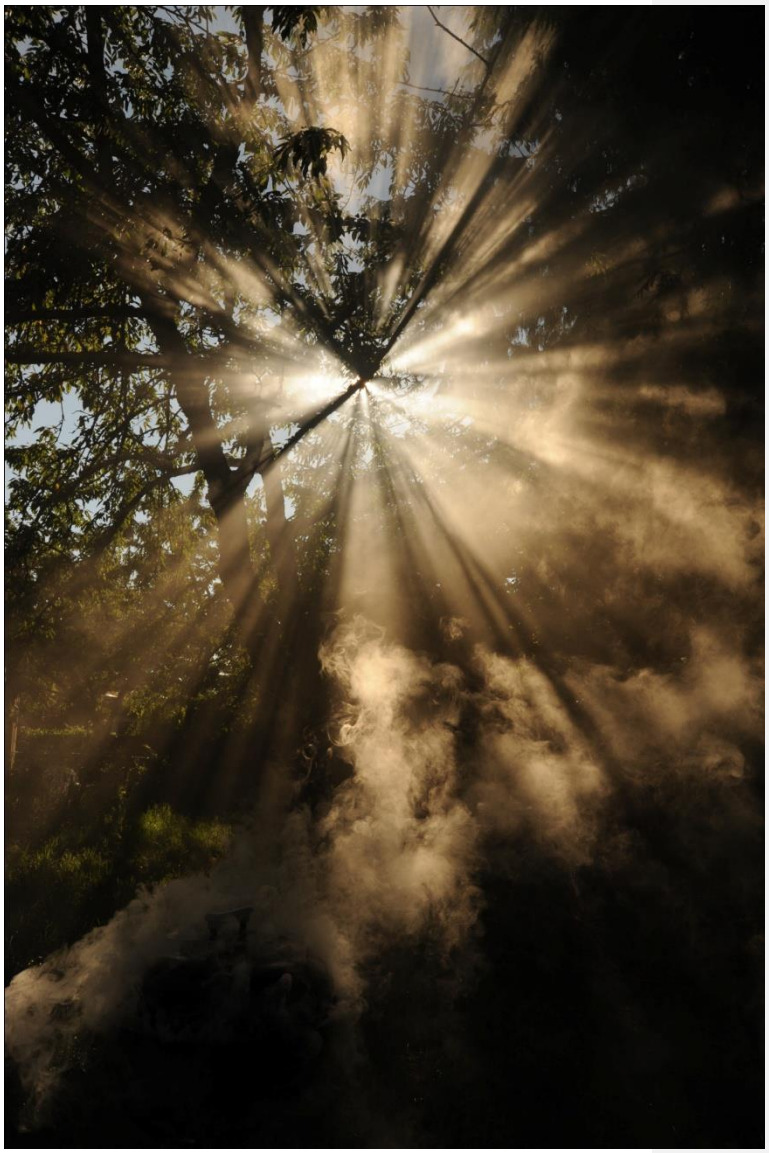

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٤/٩/١٤٤١ هـ

نورٌ على نور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون،

والحمد لله القائل في كتابه: (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (الحديد:9)،

فنحمده سبحانه على نور الإيمان ونشكره على نور القرآن حمدًا يليق بنور وجهه العظيم وهو القائل في كتابه: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (الأحزاب:43)،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله بعثه الله (رسولًا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحًا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا قد أحسن الله له رزقًا) (الطلاق:11)

فاللهم صل وسلم على الهادي البشير ما اتصلت عين بنظر وأذن بخبر وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا،

أما بعد:

فحياكم الله جميعًا وحي الله وجوهكم النيرة أينما كنتم، اشتقت لكم وأريد أن أسألكم كيف حالكم؟ وكيف قلوبكم في رمضان؟ كيف القرآن معكم؟ كيف ختماتكم؟

نحن اليوم في ليلة الخامس من الشهر الفضيل، ومعنى ذلك فإنّ أناسًا بدأوا الآن في الختمة الثانية فكيف حالكم أنتم مع الله؟ وكيف حال قلوبكم مع الله؟ وكيف تجري أعمال البر في بيوتكم؟

أشعر أن ابتسامة ترتسم على وجوهكم، وأحس أن رمضان هذا رمضان له لذة مختلفة بالفعل، وله نوع من التجربة المميزة التي شاء الله عز وجل أن نعيشها مع بعضنا.

من خلال الآيات التي ذكرتها وابتدأت بها في المقدمة يمكننا أن نستنتج قاسمًا مشتركًا متكررًا فيها:

جعل الظلمات والنور، ويخرجكم من الظلمات إلى النور، في كل الآيات كان الله يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور،

وطوال قراءتنا للقرآن تتكرر علينا هذه اللفظة: (**النور**)،

ويتكرر معها دائمًا كلمة الظلمات، فلنأخذ اليوم من وحي القرآن ولنتدارس شيئًا من الألفاظ فيه، وشيئًا من معانيه، ولنبحر في هذا النور الذي لا يمكن للإنسان أن يعيش إلا من خلاله،

وكي نستطيع تخيل هذا المعنى الذي سنتدارسه هذه الليلة، تخيلوا معي هذا الموقف:

لو كنت في بيتك والساعة مثلًا الآن السابعة مساءً وانطفأت الكهرباء، وليس عندك أي مصدر إضاءة بديل في البيت، فاجتمع ظلام الليل وظلام جدران المنزل، لا تملكين شمعةً ولا كشافًا ولا أي مصدر ضوء واحد، حدثوني عن شعوركم في الساعة الأولى أو الدقائق الأولى، ستكونين متذكرة مكانك، مدركة مكان غرفتك، تعرفين الطريق، تريدين النزول والاطمئنان على الأولاد، تريدين دخول المطبخ، أنت مدركة للطريق وتحسسين الأشياء، لأنك تعرفين وجود باب هنا وسلالم هناك،

ولكن بعد ساعتين كيف سيكون شعورك؟ وأنت لازلتِ في الظلام الدامس دون نور! بعد خمس ساعات كيف ستكملين يومك؟

كلما أردت شيئا ولم تعرفي أين مكانه بالضبط، لست قادرة على قراءة القرآن أصلًا دون نور، كيف سيصبح إحساسك؟

فقد يستطيع المرء في أول الدقائق أن يمضي في حياته، ولكن بعد ساعة أو ساعتين كيف سيكون شعوره؟ التوتر والضياع الذي سيسيطر عليه لا محاله، ستختلط الطرق ببعضها كل شيء سيبدو متشابها، لن يعرف بداية ولا نهاية للطريق، ستتسع جدران المنزل الصغير وكأنه داخل غابة موحشة، أو قد تضيق به ليظن أنه داخل مغارة، لا نهاية للعتمة، ولا يعرف من أين يولد النور.

هذه المشاعر بالضبط هي مشاعر لإنسان لا وجود لنور الإيمان في قلبه، والمشاعر لا تختلف لأن الله عز وجل عندما شبه الإيمان بالنور فهو نور حقًا، وعندما شبه الفسق والغفلة والذنب بأنها ظلمات فهي بالفعل ظلمات داخل القلب،

فتعالوا لننظر إلى هذا الإنسان الذي انطفأت عليه الكهرباء ماذا صنع؟ وتخيلوا مشاعره في تلك اللحظة التي تتولد فيها شرارة الكهرباء من جديد.

عندما يشع النور، أتتخيلون كيف سيتنفس الصعداء أخيرًا؟ عادت الكهرباء، سيرى الجدران والطريق، ستظهر السلالم، يستطيع أن يمارس حياته أخيرًا لأن النور عاد،

ولكن تخيلوا أنّ هناك أناسًا يعيشون عمرهم كله، قد يصلون إلى الخامسة والأربعين، أو إلى عمر الخمسين وما فوق، وهم إلى الآن يعيشون حياتهم كلها والنور مطفأ! ويظنون أن الحياة كلها عبارة عن هذا الظلام، ولم يفكروا أن نورًا آخر بعيدًا عنهم، مفقود من حياتهم،

ولذلك عندما تحسر السلف على أهل الدنيا الذين خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، تعجب الناس من أن قائلها إنسان عالم يعيش في بيت متواضع غالبًا ومع ذلك عنده من النور في قلبه ما يباهي به الملوك في قصورهم، ويقول لهم بحسره إنهم خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها،

فسأله من عنده **فقالوا: وما أطيب ما فيها؟ قال: معرفة الله وذكره**، فدون الإيمان في قلب المرء ودون معرفة الله عز وجل وحبه، لا يكون المرء أصلًا قد فهم الدنيا ولا عرف حقيقة النور الحقيقي،

فتعالوا نتأمل ذكر النور في القرآن، ودائمًا يا أخواتي عندما تقرؤون المصحف، تتبعوا أثر بعض الكلمات فيه، ككلمة الهدى إذا ما قرأتموها في الآيات، فليكن معكم دفتر صغير أو مذكرة تكتبون فيها الآيات التي جاءت فيها كلمة الهدى، وكذاك إذا جات كلمة التقوى أكتبوا أو على الأقل ركزوا في هذه الآيات، فالقرآن أنزل حتى يكون دستورًا للحياة، منهجًا للعيش، حتى يكون هاديًا إلى سواء السبيل، فإذا كنا نريد أن نعرف كيف نسترشد بالقرآن ونعيشه حقيقة، فلا يجب علينا أن نكتفي بثواب قراءته ، وهذا جيد وجميل وتنافس وتحري لشرف الزمان والمكان الفاضل لكن هذا لا يمنع أيضًا أن يكون للإنسان ساعة أوساعتان يتدبر فيها القرآن ويستخرج معانيه،

فدعونا نقرأ النور في قول الله عز وجل: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة:257)، جاءت قبلها بآيتين آية الكرسي، وفي آية الكرسي يقول الله عز وجل: (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (البقرة:255)، جاء بعدها: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) (البقرة:256)،

ثم في الآية التي بعدها وصف الله نفسه بهذا الوصف العظيم (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا) أي: أنكم أنتم أيها الذين آمنوا تحت ولايتي، فماذا يفعل الله عز وجل بهم؟ يخرجهم من الظلمات إلى النور،

فما هي الظلمات وما هو النور المقصود فيه في هذه الآية؟

النور هنا هو الإيمان والظلمات هي الكفر، فعندما يقول الله عز وجل: (يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) أي: أنه يخرجهم من ظلمة الكفر والذنب والغفلة والمعصية، وعندما نذكر الظلمات تذكروا ما كنا قد تحدثنا عنه عندما انطفأت الكهرباء، والناس الذين عاشوا طوال عمرهم والنور مطفأ ويحسبون أن الحياة جميلة،

وفي ذلك يحكي أحد الصحابة لمن وراءه من التابعين عن أيام الجاهلية ويقول: والله ما كنا نعرف أين عقولنا يومئذ كان أحدنا إذا سافر نسي أن يأخذ إلهه معه-الصنم الذي يعبده- فيصنع له صنمًا من تمر، يقول: فإذا جعنا أكلناه، أيأكل أحدنا ربه؟

فهو يستنكر الآن ما كان يفعله في الجاهلية، ولكنه يستنكر الآن متى؟ بعدما جاوز الأربعين من عمره، أو لننقل الثلاثين، وكل عمره الماضي وهو يأكل ربه، ربه الصنم الذي صنعه بنفسه من التمر، إذا جاع أكله، ومع ذلك يرجو منه الخير ويستشفع عنده ويسجد له، فكان يقول: وما كنا ندري أين عقولنا يومئذ،

ولذلك قد يعيش البعض جزءًا من حياتهم ونورهم مطفأ ويظنون أنهم بخير، وأنهم متعايشون مع أنفسهم، قد يقول أحدهم: أنا أخيرًا وجدت نفسي وأنا والحمد لله متصالح معها وهذه حقيقتي، ولكن لا، هذه ليست حقيقتك وأنت غير متصالح مع نفسك والحقيقة أنه لا يزال النور عندك منطفئ ولكنك غير مدرك لذلك، لم تستشعره ولم تعيشه،

فالله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، قال الله عز وجل في آية أخرى تحمل النور بنفس هذا المعنى الإيمان: (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (الرعد:16)،

<u>لاحظوا الأسئلة العقلية المنطقية التي ترد أجوبتها مباشرة، هل يستوي الأعمى والبصير؟ هل تستوي الظلمات والنور؟</u>

أيستوي الإنسان الذي يعيش والكهرباء منقطعة عنه مع إنسان يعيش في النور؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم؟

هذه الآيات كلها ترشدنا إلى أن النور والظلمة هي آثار لما يسكن القلب من الإيمان، ولذلك يستنير القلب أو يسود بما يوجد داخله، فكلما جدد المؤمن الإيمان في قلبه كلما شع ذلك القلب نورًا، ولا يسري هذا النور داخل القلب فقط ولكن ينعكس على منطق المرء، وكلامه وعلى جوارحه، في يديه ورجله ووجهه وحتى تعاملاته تصبح نورانية،

إذًا هذا النور ليس نورًا معنويًا بل هو نور حقيقي ينعكس على الإنسان، ينعكس في مفرداتك التي تستعملينها وينعكس على حركات يدك وضربات أصابعك وسترك وعفتك وهروبك من الذنب وإغماضة

عينك عن الحرام، واغلاق أذنك عن الحرام أو إمساك لسانك حتى عن الحرام، فهو نور ينعكس على الجوارح وعلى تعاملاتك والعكس بالعكس،

فإذا نقص الإيمان في هذا القلب وتلاشى منه زاد ظلمته، التي تسري أيضًا على المنطق فيصير المنطق مسودًا و تسوء الجوارح أيضًا وتصير تعاملاته أسوأ،يقول الله عز وجل: (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام:122)،

فشبه الله عز وجل هنا النور بالحياة أصلًا فجعل الإيمان هو الحياة لأن الحياة الحقيقية ليست تلك التي تعني روحا تمشي في الأرض وعروقًا يجري فيها الدم، بل الحياة الحقيقية هي حياة القلب،

ولذلك نرى ناسًا يعيشون بينا ومشهورين ربما ولها اسمها ولكنها ميتة في الحقيقة لأنه ليس لقبلها روح وليس في قلبها إيمان، فيقول الله عز وجل عن هؤلاء الكفار قبل أن يدخل إلى قلوبهم الإيمان: (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا)

ويستحضر المرء هذا المعنى وهو يقرأ القرآن، ويستحضر أن هذا النور هو الإيمان، فيطلب الله عز وجل ويدعي الله عز وجل ويجأر له أن يجعل له نصيبًا من هذا النور.

كذلك جاء النور في القرآن بمعنى آخر وهو القرآن، فقال الله عز وجل: (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا) (النساء:174)، قال الله عز وجل: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الأعراف،157)، وقال الله عز وجل أيضًا: (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا) (التغابن:8)،

فشرع الله عز وجل ليس ظلامًا، وشرعه ليس بقيود ولم يكن يومًا من الأيام قيودًا أو شيئًا لا تطيقه النفس أو لا تستطيعه، والله عز وجل خالقنا وهو أدرى بنا، يعلم أن حياة قلوبنا وأن النور الحقيقي الذي نرى به الدنيا هو في هذا القرآن،

ولذلك عندما نتلمس آيات النور نجد أنّ الله عز وجل كان يصف القرآن والوحي بأنهما النور دائمًا، فلا يمكن لإنسان أن يهتدي إلى الله عز وجل إلا من خلال تمسكه بهذا الكتاب.

والمعنى الثالث للنور الذي جاء في القرآن يكمن في أن لفظة النور تأتي بصيغة مفردة دائمًا وتأتي الظلمات بصيغة الجمع، وفي كلّ الآيات التي سردناها تقريبا اثنتا عشرة آية أو أكثر، لم يذكر في واحدة منها: فاتبعوا الأنوار التي أنزلت إليكم، أو فاتبعوا أنوار رسول الله، أو أنزلنا إليكم أنوارًا، **كلا كانت دائمًا تأتي بلفظة مفردة، نور وطريق واحد وهو النور**، ولم تأتي الظلمات بفردة كظلام وإنما ظلمات، ومثل ذلك عندما يقول الله عز وجل فاتبعوا السبل، فعدد الله عز وجل السبل لأنها متعددة وجعل الله عز وجل سبيله واحدًا،

وإذا قرأتم القرآن وبحثتم عن السبل والطرق إلى الله عز وجل ستجدونها دائما تأتي في صيغة المفرد، لماذا؟ لأن الطريق إلى الله واحد لا تعدد فيه، والسبيل الى الله عز وجل واحد، لا انحراف عنه، طريقنا واضح والإسلام دين واضح لا غبش فيه، ولا يوجد إنسان يقول بأن الدين اختلط عليه ولايعرف واجباته أو الحلال والحرام، لأن الإسلام أسهل من ذلك بكثير، يقول النبي عليه الصلاة والسلام:"قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ

الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ"[1]

إذا الطريق إلى الله عز وجل واحد وواضح ولا تعدد فيه وكتاب الله عز وجل محفوظ، حفظه الله من التحريف فلن تجد نسخة من كتاب الله تختلف عن النسخة الأخرى وكذلك سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:9)،

فشريعة السماء محفوظة بحفظ الله عز وجل والطريق إلى الله واحد لا تعدد فيه وهو صراطه المستقيم، وأما الظلام وسبل الشيطان فهي متعددة، ولو جمعت كل الأحاديث سنجدها كلها تأتي خلف بعض مترابطة، فعندما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ»[2]

كل هذه أنواع من الناس، فكل إنسان له ظلمة خاصة بحسب هوى نفسه، فيأخذ المرء من النور بقدر إقباله على الإيمان بالله عز وجل، ولكن له نصيب من الظلمات أيضا بحسب هوى نفسه، ولذلك قال الله عز وجل: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (البقرة:257)، وقال في الآية الأخرى: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) (الأنعام:153)،

وقال ابن القيم: (**فالطريق إلى الله في الحقيقة واحد لا تعدد فيه وهو صراطه المستقيم الذي نصبه موصل لمن سلكه إليه)**

طبعًا عندما تعرف هذا الكلام وتستشعر حقيقة أن الطريق إلى الله واحد، فلا يمكن أن تظن أن الوصول إلى الله له طريق مختلف، أو بدعة أخرى ،ولا تستطيع أن تبتدع دينًا جديدًا يوصل إلى الله،جاء عن الحسن البصري أنه قال: "**ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال**".

ليس الإيمان أمنيات يتمناها المرء، نجد من تقول أنا مقصرة في صلاتي وصحيح أنني غير متحجبة وكذلك لا أصلي وأصوم مرة ومرة لا أصوم، وعندي ذنوب وخطايا وأحيانًا أغتاب، وتعدد كل الذنوب التي تقترفها ثم تقول ولكنني بصراحة طيبة القلب، وقلبي نظيف وأؤمن بالله، ممتاز قلبك نظيف ومؤمن بالله وقد ينفعك أصلًا فقط وجود (لا إله إلا الله) في قلبك وهذا مهم، لكن الأهم من ذلك: (الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي)

فالإيمان ليس بالذي تتمناه فقط بقلبك! ولا هو بالتحلي أي: ولا هو باللباس الذي تلبسه أيضًا فقط وقلبك يشوبه السواد، الإيمان يجمع بين الاثنين، معادلة لابد لك من تحقيق طرفيها، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، فواجب تطهير القلب كما ذكرنا في الدرس الماضي، وفي المقابل أيضًا لابد من أن يصدقه العمل، فإذا لم يصدق العملُ القلبَ، فنحن نكذب على أنفسنا، فكيف نحب الله ونعصيه؟

واسألوا أي أم في الحياة لو يأتيها ولدها ويقول لها أنا أحبك ولكن لن ألتزم بكلامك، ستقول أنا لا ينفعني حبك إذا كنت لا تبر ولا تطيع، إذا كنت غير ملتزم بما أقوله فأنا في غنى عن حبك،

وهذا في مقاييسنا نحن البشر ليس هناك أي فائدة من الحب إذا ما كانت تلازمه الطاعة والالتزام وغيرهما،

(1)أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.

(2)أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح.

فكيف الحب بين العبد وبين ربه؟ إذًا الإيمان هو الذي يقر في القلب ويصدقه العمل،

ألف خط تحت (**صدّقه العمل**) فالقضية هي أن تصدق الله يصدقك، وليست القضية هي أن تنوي ثم تهون وتفتر، كمن يقول نويت عمل كذا في رمضان ولكن جاء المسلسل وامتدحه الناس، وكنت أريد أن أتوقف عن المتابعة، كل هذه الأمنيات، ليست إيمانا حقيقيا،

فالقضية هي إن تصدق مع الله عز وجل ويصدقك الله عز وجل على ذلك. لاحظوا كل هذه المعاني من معنى النور،

والآن نأتي إلى المعنى الرابع وهو معنى مهم جدًا، فنحن في الدنيا لا نرى هذا النور بصورة حقيقية متجسدة، النور الذي حدثنا عنه الله عز وجل في كتابه: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (البقرة:257)، وأن الله أنزل هذا النور ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، نسمع ذلك ولكننا لا نرى هذا النور متجسدا، لكن يوم القيامة يتحول النور إلى حقيقة وسيرونه الناس بينهم وأمامهم

قال الله عز وجل في سورة الحديد: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ) (الحديد:12 و13)،

يحدث هذا الموقف يوم القيامة وهو يوم لا أستطيع أنا ولا أنت أن يكون لنا الخيار في حضوره، ويا ليت لو أنه لدينا الخيار، واخترنا أن نكون ترابًا كما قال أبو بكر -رضي الله عنه- وهو خيرة الناس بعد النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما رأى طائرًا على شجرة فقال: (يا ليتني كنت مثله) تمنى لو أنه طائر على أن يكون إنسانًا، تمنى لو أنه لم يكن عليه تكليف وهو أبو بكر -رضي الله عنه-، لأنه يعلم هول يوم القيامة وما فيه،

والموقف الذي حكاه الله عز وجل في سورة الحديد هو بعد اجتماع الناس، يتّبع الكفار آلهتهم، في حديث طويل سبق أن ذكرناه في أهوال يوم القيامة، وكل أمة ستتبع إلهها الذي كانت تعبد ويذهبون إلى النار، ويبقى من؟ يبقى كل من تسمى باسم الإسلام سواءً أكان من المسلمين أو المنافقين، الذين تسموا بالإسلام وأظهروه وعاشوا به ولكنهم منافقون ومعنى النفاق أنهم يبطنون الكفر والكره لهذا الدين، ويظهرون أنهم مسلمون ويظهرون صلاتهم وصيامهم، ولكنهم من داخلهم يكرهون الطاعة ويكرهون كل ما له علاقة بالله عز وجل وبشرعه، فيبقى هؤلاء مع المسلمين، وليس لهم من إله إلا الله عز وجل،

فيكونون في مكان قبل النار، فيأمر الله عز وجل فيضرب الصراط ويضرب الجسر كما أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام-في الحديث الطويل الذي رواه أبو سعيد عنه:"...، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: " دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، ..." قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ".[3]

واستغرب الصحابة من ذلك فكيف يمشون عليه؟

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[4]، الشاهد أنه عندما يضرب

(3) أخرجه مسلم، صحيح.

هذا الصراط فيأمر الله عز وجل كل من تسمى باسم الإسلام من المؤمنين والمنافقين أن يجتاز الصراط، وهو فوق النار،

والنار يوم القيامة نار محرقة لكن ليس لها نور، فالنار في الدنيا نشعلها طلبا للدفء والضوء، ولكن النار يوم القيامة هي نار محرقة ليس فيها نور ولا ضياء، فتخيلوا اجتماع الظلام الدامس واللهب، فيشعرون بحرارة النار من تحت الجسر، الجسر الأحد من السيف والأدق من الشعر، ولابد أن يجتازه الناس، فلا يمكن لأحد أن يصل إلى الجنة دون عبور الصراط كائنًا من كان.

الأنبياء والشهداء والصالحين وكل الناس، وتكون دعوة الأنبياء في ذلك اليوم: اللهم سلم سلم،

ويجتاز الناس السراط بنورهم، أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح عن ذلك فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ الْقَضَاءِ» ... إلى أن قال:«ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ، فَيَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ رَجُلًا يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيَفِيءُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ فَمَشَى، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ "، قَالَ: «وَالرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَمُرَّ فِي النَّارِ فَيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضُ مَزِلَّةٍ» ، قَالَ: " وَيَقُولُ: مُرُّوا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي أُعْطِيَ نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ يَحْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ تَخِرُّ رِجْلٌ، وَتَعْلَقُ رِجْلٌ، وَيُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ، فَإِذَا خَلَصَ وَقَفَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا أَنْ نَجَّانِي مِنْهَا بَعْدَ إِذْ رَأَيْتُهَا» ... إلى آخر الحديث.[5]

فنورك الذي ستأخذه يوم القيامة والذي ستجتاز فيه الصراط هو على قدر العمل الذي كنت تقوم به في الدنيا، على قدر ركعاتك وعلى قدر صيامك وقدر صدقك، على قدر إخلاصك وعلى قد إيثارك ما عند الله عز وجل، وعلى إيثارك نفسك وإيثارك هوى النفس ،وعلى إيثار محاب الله على محابك،

لم يقل أحد إن الطريق سهل لكن أيضًا ليس بمستحيل، فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى مثل النخلة عن يمينه، ومنهم من يعطى نورًا أصغر من ذلك، حتى يكون آخرهم رجلًا يعطى نورًا على قدر إبهام قدمه يضيء مرة وينطفئ مرة، فإذا أضاء قدّم قدمه فمشى وإذا انطفأ قام، قال: (والرب عز وجل أمامهم حتى يمروا في الناس فيبقى أثره كحد السيف سحط مزلة...)[6]

(4) أخرجه البخاري، صحيح.

(5) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الألباني: صحيح

(6)أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الألباني: صحيح

قال: -والحديث طويل- في آخرة فيمرون على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب) وفي هذا التعداد فلتتخيل نفسك، أنت أي واحد منهم؟ سيكون نورك مثل ماذا؟ أستمضي كرمشة عين؟ أو كالبرق؟ أرأيت سرعة البرق؟ كيف ستمضي؟ كيف عملك؟

(يأتي منهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقباض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كأشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي يعطى نوره على قدر إبهام قدمه الذي يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخروا يدٌ وتعلق يدٌ تخروا رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف على النار فقال: الحمد لله الذي أعطاني ما لم يعط أحدًا إذ نجاني منها بعدما رأيتها) [7]

قيل في هذا مجموعة روايات، فقيل في هذا الأخير الذي نجا، آخر من يخرج، قيل أنه يجتاز الصراط بعد أربعين سنة، وقيل بعد سبعين سنة وهو في الصراط وقيل أكثر من ذلك وقيل أصغر، والله لو قلنا أنه يجتاز الصراط في سنة، لكان كثيرا، فكيف به وهو على الصراط أربعين سنة! أو سبعين سنة؟ أو أكثر من ذلك أو على أقل؟

وهو إما تعلق يده أو تخر قدمه، ونوره على قدر إبهام قدمه، والله لا يظلم لحظة من الخير عملت بها، قد تكون صدقة معروف قمت بها لأحد، أو شيئا من البر حتى في قطة أو حيوان أو في مسكين أو فقير، ربما شيء صغير من المعروف قمت به، فالله لا يظلم إنسانا بذرة من خير قام به.

فصاحب النور في قدمه الذي لا يشع، لم يكن يساعد نفسه في الدنيا، فصار نوره في إبهام قدمه ينطفئ تارة وينير تارة أخرى، فلنقارن بينه وبين الناس الآخرين الذين منهم من كان نوره مثل الكوكب، أو مثل النخلة عن يمينه، مصباحه كنخلة كبرى بيمينه، وهذه لا تأتي من فراغ، لكنها تأتي حقيقة من أنوارهم التي جمعوها في الدنيا ومن أعمالهم الصالحات التي فعلوها،

في مقابل هؤلاء، يكون المنافقون، وعندما ينظرون إلى المؤمنين الذين اجتازوا بأنوارهم، فلان وفلان وصديقي في الدنيا وإخوتي كلهم عبروا أمامك، ومعهم أنوارهم، فيظن هذا المنافق أنه مثلهم، وفعلا يُعطى نورًا ظاهريًا، يُعطى نور لا إله إلا الله، التي كانت معه في الدنيا، وأول ما يدخل في الصراط ينطفئ نوره، فلما انطفأ نوره لم يستطع اكمال طريقه، فمنهم من يخر على وجهه ومنهم من يريد الله عز وجل به أمرًا آخر،

فهؤلاء المنافقون ينادون الذين آمنوا ويقولون لهم: (انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ) انتظروا واعطونا نورًا من نوركم فيقول لهم المؤمنون: (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ* يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ) (الحديد:13 -14)،

يقول المنافقون في تلك اللحظة، أنتم معكم أنوار ونحن ليس لنا، ولكننا كنا معكم وعشنا في نفس العصر وكنا في نفس المكان، نعمل معا وسكنا نفس البيوت، (يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) (الحديد:14)،

غرتكم الأماني وغرتكم الحياة الدنيا، غركم بالله الغرور، فكانت النتيجة أنهم يأتون يوم القيامة بأنوارهم على قدر ما كانت في إيمانهم.

وعندما تقرأ في المصحف هذه المعاني، وهذا النور، لا يمكن للإنسان أن يمر عليه دون أن يسأل

(7)أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الألباني: صحيح

كيف نحصل على هذا النور؟ وكيف يكون لنا جبال منه؟ لنكون نحن من أهله،

ولذلك قال عثمان -رضي الله عنه-: (**ما أسر أحد بسريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه**)، فالمنافق منافق والعاصي عاصي والمؤمن مؤمن لا يستطيع أي منهم كتمان حقيقته في سريرته إلا ويظهرها الله في علانيته،

يقول ابن عباس -رضي الله عنه-: (**إن للحسنة لنورًا في القلب وضياءً في الوجه وقوة في البدن وزيادة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة لظلمة في القلب وغبرة في الوجه وضعفًا في البدن**)،

نجد بعض الناس واهنة وكسولة على الطاعة لا لسبب ولكن إنه الذنب يضعف الإنسان ويبث فيه الوهن، وينقص من رزقه، ويبغضه في قلوب الخلق، واقرأ إن شئت قول الله عز وجل: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ*وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (آل عمران:106 و107)،

فالجزاء دائمًا من جنس العمل، وهذه قاعدة كثيرًا ما نكررها، فكما بيضوا صحائفهم بأعمال الخير بيض الله وجوههم في الدنيا وبيض الله وجوههم في الآخرة، وهذا النور نور حقيقي ليس له أي علاقة بلون البشرة، فحتى لو كان الانسان غامق البشرة يظهر النور عليهم ونجد البشرى على وجوههم لا تخطئها عين،

فأحيانًا تقول هذا رجل ترتاح له، أو هذه امرأة في وجهها نور، فيها شيء يحببك بها، شعور نجده في القلب ليس له صلة بلون البشرة وليس له علاقة أصلًا بالشكل ولا بالجمال، إنما هو النور الموجود في دواخلهم،

وفي المقابل أناس ربما آتاهم الله من الجمال ومن بياض الوجه، فوجوههم بيضاء ولكن لم يجعل الله لهم نورا، وقد ينفر منها الناس، وتشعر أن قلبك ينكمش عند مقابلتهم، لأنه كما قال ابن عباس: رضي الله عنه-: (إن للحسنة لنورًا في القلب وضياء في الوجه وقوة في البدن وزيادة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة لظلمة في القلب وغبرة في الوجه وضعفًا في البدن) وفي آية النور في سورة النور عندما يقول الله عز وجل: (ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ) (النور : 35) فلما نقول: (الله نور السماوات والأرض) فهو النور وهو مصدر النور، والله نور السماوات والأرض أي: **أن كل نور في السماوات أو في الأرض هو من الله عز وجل**

ولذلك كان يدعو النبي -عليه الصلاة والسلام- بذلك فيقول: (أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة)

وعندما سألته خديجة عند عودته من رحلة المعراج قالت له: هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه، وسواء أكان يقصد بذلك النور، نور الله عز وجل أو نور الحجاب الذي ورد في حديث النبي -عليه الصلاة والسلام-: («إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»)[8]، (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) وفي قصة موسى لما أراد أن يرى وجه الله عز وجل قال له الله عز وجل: (لَن تَرَانِي) لأنك لا تستطيع بقواك البشرية وأنت

(8) أخرجه مسلم،صحيح.

على الأرض أن ترى الله عز وجل (فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) تجلى شيئًا يسيرًا فقط للجبل (جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا) (الأعراف:143)،

فإذا كانت الجبال تدك فقط من تجلي الله عز وجل، لا يمكن أن نرى الله عز وجل ولا أن نرى وجهه بقدراتنا وبقدرة العين العادية، وإنما يعطيها الله عز وجل قدرة خاصة لأهل الجنة، فيكون ذلك أعظم نعمة من نعيمهم يومئذ عندما يدخلون الجنة، هو النظر إلى وجه ربهم وهو يوم المزيد،

وعندما نقول: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) (النور:35)، مثل نوره أي: مثل نور الله في قلب المؤمن، فبدأ الله هذه الآية بنوره، وعندما نقرأ هذه الآية ونتساءل عن كل ما فيها من المشكاة والزجاجة والمصباح والزيتونة،

ما هو هذا الوصف؟ فإن هذا مثل لنور الإيمان في قلب المؤمن. المشكاة هي الكوة، والكوة في اللغة العربية هي كنافذة مسدودة في الجدار داخلة فيه، ونخلة مثل القوس كأشياء صغيرة تجدونها في البيوت القديمة، يضعون فيها المصباح حتى يتجمع فيها النور، ففي المشكاة لا يضيع النور ولا يتشتت وإنما يكون مركز فيها، وفي المشكاة مصباح،

المصباح في زجاجة، **ولماذا الزجاج؟** لأنه مادة فيها ثلاث صفات للإيمان في قلب المؤمن: الرقة والصفاء والصلابة، إيمانهم رقيق، وإيمانهم رقة للقلب، ويعبدون الله عز وجل بجناحي الخوف والرجاء، وفيهم الصفاء، فالإيمان صاف لا تشوبه أي شائبة من الشرك، وفوق هذا كله فيهم صلابة فلا تؤثر فيهم الشبهات ولا الشهوات،

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عندما أوصى ابن القيم وقال له **لا تجعل قلبك مثل الاسفنجة، أي تتشرب كل شبهة تمر عليك، وإنما اجعله مثل الزجاجة تمر به الشبهة فلا تؤثر فيه،**

ولذلك لاحظوا استخدامه للزجاج، فيه من الصلابة ما لا يجعل الشبهات تؤثر فيه، وكذلك عندما تغلق النافذة الزجاجية، فأنت ترى نور الشمس والحديقة، وترى المنظر الجميل ولكن لا يأتيك من غبارها ولا من سمومها ولا يصلك الهواء ولا الحشرات، لأن هذا الزجاج الصلب يحول بينك وبين الخارج،

وهذا وصف الله عز وجل لقلب المؤمن، وأكمل الله تعالى الوصف بأنه منير، ووصف الله هذا النور وكأنه كوكب درري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، ومعروف عند أهل الزرع كيف يكون الشجر شرقيا أو غربيا: فلو كانت شرقي تأتيه الشمس في وقت نصف النهار الثاني وإن كانت غربية تأتيه الشمس فقط في نصف النهار الأول)

ولذلك تكون الجهة اليمنى من الزرع أحيانا مختلفة عن اليسرى، ولكن هذه النور على الشجرة في غاية الاعتدال وفي غاية الكمال فلا هو بشرقي ولا بغربي، بل يعمها من جميع الجهات، لذلك زيتها أجود الزيوت، يكاد الزيت لوحده في هذا المصباح أن يضيء حتى دون أن تمسه النار،

نور على نور، نور الزيت ونور النار فاشتد النور نورًا، عندما تقرأ سورة النور وترى هذا الوصف الكبير لنور الوحي وكيف وصف الله عز وجل نوره في البداية بأنه هو نور السماوات والأرض، ثم مثل بنور الله عز وجل في قلب عبده المؤمن، وتسترسل بآيات القرآن مثاني إذا ذكر الله عز وجل النور، ذكر الظلمات، ليجعل لك دائمًا الخيار،(وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ) (البلد 10) ،

دائمًا يرشدك إلى طريقين لتختار أنت طريقك، فلا يستطيع أحد أن يجرك بسلسلة ولا أن يغصبك على شيء، فالقضية بينك وبين الله وأنت تختار علاقتك مع الله عز وجل، كيف تريد أن تكون، أنت أي عبد لله؟

وعندما نقرأ الآية التي بعدها: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) (النور:36)، ثم تقرأ: (يَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ) (النور:38)، ثم قال الله عز وجل: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) (النور:40)،

هذا الوصف الدقيق للظلمات المتراكبة، ظلمة البحر اللجي والموج يغشاه موج من فوقه موج، يعني كالسحاب المتراكب ظلمات بعضها فوق بعض،

كل هذا الوصف ليريك الله أترضى أن تكون أنت في هذا الظلمات؟ أو تريد أن تكون من أهل النور؟

النور الذي وصفه الله عز وجل في قلب المؤمن.

نأتي إلى سؤال مهم، إذا كان الله هو نور السماوات والأرض لماذا إذًا بعض القلوب مظلمة؟ وبعض القلوب قاتمة ولازالت قاسية ولا تتحرك؟

السبب في الآية التي ذكرناها: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ) الشمس موجودة والنور موجود في السماء، ولكنهم هم من حجبوا أنفسهم بالذنوب وبالمعاصي والغفلة، لذلك لا بد من جمع القرآن لإدراك المعنى، فهو كله هدى لمن استرشد به، نقرأ في سورة المطففين: (بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين:14)،

ونقرأ في سورة البقرة: (بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) (البقرة:81)، فالنور موجود، بالشمس مشرقة والنور مشرق معها على كل العالم، والطيور تلاعب أشعتها، والشمس تشرق وتسفر وتتوهج، وأنت مسجون في نفسك، مسجون في زاويتك المظلمة تحت جدار أنت غلفت به نفسك، لذلك لا ترى النور،

وعندما نتساءل لماذا قلوبنا قاتمة أو مظلمة أو لماذا هي قاسية؟ فهذا لأننا نحن من غلفنا قلوبنا بهذه الظلمات، فإذا أردت أن تتذوق النور فلابد من أن تمزق تلك الظلمات المتراكمة فوق بعضها البعض، طبقة بعد طبقة، وكما ذكرنا في درسنا الماضي، لا تدخل رمضان بقلب مغلف بالسواد، حاول أن تدخل رمضان وأنت تطهر نفسك، ولا ترضى أن تتعايش مع ذنوبك على أنها أمر عادي.

يبقى السؤال الأهم والجوهري،

هو **كيف نعبد الله عز وجل بمعرفة هذا النور؟وكيف نحصل على هذا النور؟**

نعرف أنه عند التدبر والأخذ من معاني القرآن، فنحن لا نريد معلومات نظرية فقط، فالسؤال الذي يطرح نفسه ما هو واجبي العملي؟ ماذا يجب أن أعمل وكيف أقترب من هذا النور أكثر؟ كيف أنير قلبي؟ وكيف أمزق الظلمات التي تحدثنا عنها؟ فلنأخذ إذًا هذه الخطوات مع بعضنا لنعرف كيف نقترب من هذا النور.

أول خطوة: محبة الله وعبوديته، قد تقول أنا أعرف ما هي محبة الله وعبوديته، أكيد كلنا نحب الله، ولكن كما يقول ابن القيم في إغاثة اللهفان: وأما محبة الله فلها شأن غير هذا الشأن، فالقلوب لا يمكن أن تعيش من غير أن تحب الله عز وجل،

ولتختبر حبك لله عز وجل، فلتنظر إلى إيثارك لمحاب الله على هوى نفسك، فلتنظر إلى كل موقف مر عليك خلال الفترة الماضية، من آثرت؟ آثرت هواك وحبك أم آثرتِ الله عز وجل؟ وما يحبه الله وما يرضاه؟

بعيدا عن كل قضية الحلال والحرام والخلاف والمكروه والسنة، هل أنت فعلا تتبع الذي يحبه الله عز وجل؟

فنحن عندما نحب شخصا نسترضيه بكل الطرق، نبحث كما يحب، نحضر له الأشياء التي يحبها باللون الذي يحبه بالطعم الذي يفضله، نسارع مباشرة لإحضار الشيء الذي يريد،

إذًا نحن نحب الله عز وجل،والحب الحقيقي معناه أن نسارع في محبة الله، لذلك قال موسى عليه السلام: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ) (طه:84)، كان من الممكن أن يتأخر موسى عليه السلام لأن الموعد لا يزال بعد يومين، ولكنه لم يطق صبرًا وعجّل إلى ربه.

نرى من الناس وقت الصلاة من يتكاسل ولا يتوضأ إلا بعد الأذان، وفي المقابل هناك من تجده في المسجد قبل الأذان، قلوبهم معلقة به، هؤلاء تعجلوا رضى الله عز وجل،

فاسأل نفسك أين محبة الله في قلبك؟

وقسها بهذه الطريقة، يقول الشيخ السعدي: من أسمائه وأوصافه النور عن الله عز وجل فهو الذي استنارت به العوالم كلها فبنور وجهه أشرقت الظلمات واستنار به العرش والعالم السفلي والسبع الطباق وهذا هو النور الحسي،

وأما النور الذي نوّر الله به قلب أنبيائه وأصفيائه وملائكته فهو نور محبته ومعرفته،

إذا كنا نبحث عن النور فلنبحث عن حب الله في قلوبنا، والحب ليس المشاعر وحسب، فكما ذكرنا المعادلة هو ما وقر في القلب وصدقه العمل.

الحب الثاني **والخطوة الثانية: محبة النبي -عليه الصلاة والسلام-**، قال الله عز وجل: (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) (الأحزاب:46)، فشبه الله عز وجل نبيه بالسراج المنير، فإذا كنت تبتغي قطعة من النور في قلبك، فلابد أن تحرك حب النبي -عليه الصلاة والسلام- فيه، ولا شيء أنفع من قراءة سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام-، وهي مما لا يمل الإنسان من قراءته،

ومن النافع أن تعود إلى قراءتها كل فترة، لتقرأها بعقل آخر، وتقرأها وأنت تكون قد كبرت قليلا ومرت بك تجارب الحياة، فتقرأ السيرة بمعنى آخر وبنور آخر وبعين أخرى،

وتذكر نفسك بصبر النبي -عليه الصلاة والسلام-،وكيف كان يتصرف، ستشعر بالنور الذي نزل به النبي -عليه الصلاة والسلام- النور الذي لم يكن عاديًا، ومن حبك له صلى الله عليه وسلم ستستحضر وجوده في مواقف حياتك، وستسأل نفسك كيف سيتصرف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لو كان موجودا؟ أكنت ستتجرأ على فعل المعصية؟

فلو كان النبي -عليه الصلاة والسلام- حاضرا في حياتك ستتغير كثير من المواقف، حتى لو كنت لوحدك،ستقول لو كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موجودا أكنت سأفعل هذا الشيء؟ هل كان سيسره أن أفعل أو ألا أفعل؟

نحن لنا موعد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأسأل الله أن يجعلنا في زمرته ومن أهله ومن الذين يسقيهم

بيده الشريفة شربةً لا نظمأ بعدها أبدًا،والرسول لما سُئل: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قال صلى الله عليه وسلم: (فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ)[9]

فهو صلى الله عليه وسلم يعرف أمته، وسيعرفنا نفسًا نفسًا، ويأتي النبي -عليه الصلاة والسلام- في موقف فيه من عرصات يوم القيامة، ينادينا ويقول لك تعال لأنه يعرفك من الوضوء الذي توضأته، يعرفك النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول لك تعال أنت من أمتي فيشير لك لتقترب، ثم تجيء الملائكة فتصرف بعض أمته منه، جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "... أَلاَ وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ،..."[10]

صحيح هؤلاء من أمتك، وصحيح أنهم متوضئون، ولكنهم قاموا بعمل لا يدخلون الجنة به قبل أن يتطهروا منه، ولهذا الموعد مع النبي -عليه الصلاة والسلام-،نقوي نورنا ونستحضر محبة النبي -عليه الصلاة والسلام- مع أنفسنا، نتعلم ونعلم ذلك لأبنائنا، لتكون لكم تلك الجلسة التي تتذاكرون فيها سنته وسيرته.

الخطوة الثالثة: تقوى الله عز وجل، وأخذنا في تقوى الله عز وجل دروسا كثيرة، والتقوى هي أن تجعل بينك وبين عذاب الله حاجزا ووقاية، أي شيء، ولنضع خطا تحت كلمة أي شيء رتب الله عليه عقوبة أو عذابا أو عدم رضى أو لعنا لفاعله، فابتعد عنه ولا تكن من أهله، قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الحديد:28)، فمجرد تقوى الله عز وجل تجعل لك نورًا تمشي به، ويغفر الله لك.

الخطوة الرابعة: الصلاة، فالصلاة نور عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بُرْهَانٌ وَلَا نُورٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ»[11]

فمع من نريد أن نكون؟ فالصلاة أمرها عظيم فمن حافظ عليها كانت له نورا، وكثير من أصحاب الوجوه المنيرة لا تكون لشيء إلا لمحافظتهم على الصلاة.

الخطوة الخامسة: تلاوة القرآن، قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: "من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ..."[12] دائما نعرف جزاء ختم القرآن للوالدين، ولكن في هذا الحديث الجزاء لك أنت:"من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس يوم القيامة تاجًا من نور ضوءه مثل ضوء الشمس، ..."[13]

فالجزاء لصاحب العمل:" من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس يوم القيامة تاجا من نور ضوءه مثل ضوء الشمس، ويكسى والديه حلتان لا يقوم بهما الدنيا فيقولان: بما كسينا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن"[14]

(9) أخرجه مسلم.

(10) أخرجه البخاري.

(11) أخرجه ابن حبان وقال الألباني:ضعيف.

(12) أخرجه الحاكم وقال:هذا حديث صحيح.

(13)أخرجه الحاكم وقال:هذا حديث صحيح.

فبأخذ ولدكما القرآن وختمه فهو يلبس تاجًا من نور ضوؤه مثل الشمس يوم القيامة، ويكسى والداه أيضًا حلتان لا تقوم لهما الدنيا، والحقيقة أننا الآن ومع الحجر المنزلي لم تفز إلا البيوت التي فيها حفظة لكتاب الله عز وجل، الذين يؤمون في بيوتهم، والوالدان اللذان أعدى أبناءهما لمثل هذا اليوم، فيفوزون في الدنيا قبل الآخرة.

الخطوة السادسة: ذكر الرحمن، قال الله عز وجل: (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ) (الزمر:22)، فعندما انشرح صدره دخل فيه نور من ذكر الله عز وجل، وعندما خف أو قل ذكر الله صارت قلوبهم قاسية، قال ابن القيم: (إن الذكر نور للذاكر في الدنيا ونور له في قبره ونور له في ميعاده يسعى بين يديه على الصراط فما استنارت القلوب ولا القبور بشيء مثل ذكر الله)،

الناس التي تخاف من ذكر القبر أو تخاف من ظلمة القبر، ولا تريد ذكر الموت ولا تذكر ضيق القبر، وتصيبها الوساوس في هذا الموضوع، هؤلاء ليست قضيتهم قضية وسوسة أو خوف، إنما هي قضية استعداد، وجزء من الاستعداد إذا كنت تخاف من الظلام أن تستعد بالنور، ولا يؤتى كما يقول ابن القيم: فما استنارت القلوب ولا القبور بشيء مثل ذكر الله،فإذا أردت أن تضاء المصابيح وتريد النور أن يخرج لك في قبرك وفي ميعادك ويوم القيامة يكون لك، اجعل لك نصيبًا من هذا الذكر.

الخطوة السابعة: قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، جاء عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:« مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»[15] وفي رواية:«مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ»[16].

الخطوة الثامنة: الإكثار من النوافل واحتساب الحسنات، وهذه ذكرناها في كلام ابن عباس: (إن للحسنة نورًا في القلب وضياءً في الوجه) فإذا كنت تريد نور القلب وضياء الوجه، فأكثر من النوافل واكتسب الحسنات، ولا ترضى أن يمر يومك وجداول أيامك بشكل عادي، خبئ لك من العمل الصالح، إذا لم تقم بحسنة اليوم، ادخل تطبيقا وحول لجمعية خيرية، أو إلى أي مساكين تعرفهم، أرسل إليهم شيئًا، حاول ألا ينتهي يومك إلا وأنت قد فعلت حسنة وأضفت شيئا جديدًا لميزانك،

ابن عون كان يقول عن الإمام أحمد: (عاشرته عشرين سنة ليلًا ونهارًا صيفًا وشتاءً فما وجدته في يوم إلا وهو زائد عليه في الأمس)، تستطيع في كل يوم أن تزيد على الأمس، فالقضية ليست في الثبات على الأعمال، الثبات ممتاز ولكن الآن عمرك أربعين سنة، ربما ثلاثين، أو ثلاثة وعشرين، ماذا أضفت هذه السنة؟ رمضانك هذا جاء مختلفًا ما الذي زدته على رمضانك الماضي؟ أحبابنا الذين فقدناهم، دروس الحياة التي أخذناها، ولكن ما الذي زاد بينك وبين الله عز وجل؟ لذلك أكثر وزد من النوافل.

الخطوة التاسعة: الصبر، وما علاقته بالنور؟ يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: (الصبر ضياء)[17] فكلما ازددت صبرًا كلما ازددت نورًا، وكل الصبر بجميع أنواعه محمود، إلا نوع واحد أتعرفونه؟ إلا نوع واحد وهو الصبر عن الله، والصبر

---

(14)أخرجه الحاكم وقال:هذا حديث صحيح.

(15)أخرجه الحاكم في المستدرك وقال الألباني: صحيح.

(16)أخرجه الدارمي في مسنده وقال الألباني: صحيح.

عن الله هو أن تتردد في قرار توبتك وتأخرها، فكل الصبر محمود إلا صبرك عن الله، فكيف يطيق قلبك أصلا أن يصبر عن الله؟ كيف تقوى نفسك وأنت تعيش حياتك بعيدا عن الله؟ فكل الصبر محمود إلا صبرك عنه،

فأما الصبر على الطاعات فمحمود وهذا الصبر كوقفتك الآن في صلاة التراويح، وقراءتك للقرآن والمسارعة في ختماتك، وجلدك على عمل الطاعات وصيامك،

قد يكون الصيام عند البعض مؤلما أو عند المرضى، هؤلاء الصبر على الطاعات في حقهم محمود، والصبر على الطاعة محمود بكل أشكاله، والصبر عن المعاصي والصبر على أقدار الله

الخطوة العاشرة: قيام الليل، وقد سئل الحسن البصري ما بال المتهجدين هم أحسن الناس وجوهًا؟ قال: (**لأنهم خلوا بنور الرحمن في الظلمة فألبسهم نورًا من نوره**) قال عطاء الخرساني: (**قيام الليل نور في القلب وضياء في البصر وقوة في الجوارح وإن الرجل إذا قام من الليل يتهجد أصبح فرحًا يجد فرحًا في قلبه**)، وترى ذلك في نفسك أحيانًا،عندما تقوم الليل، أو تمر ليلة قمت الليل فيها، وفعلت كل شيء على أكمل وجه، تشعر بالفرحة في داخلك، الحمد لله مر اليوم سليمًا، مر اليوم من غير أخطاء، الشعور هذا فرحة يجدها الإنسان في قلبه.

الخطوة الحادية عشر: التوبة، يقول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا) وقال في ختام الآية: (أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا) (التحريم:8)، فجعل التوبة نورًا، وكما أن الصبر محمود كله إلا الصبر عن الله عز وجل، فهؤلاء عندما تابوا إلى الله عز وجل أبدلهم الله عز وجل نورًا في قلوبهم.

والخطوة الثانية عشر:مجاهدة الفتن، وهذه تؤتي النور في داخل القلب:"تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ..."[18] إذًا الفتن تعرض على القلب كالحصير عودًا عودًا، أنظرتم إلى الحصير؟ متراصة فيه أعواد مثل القش، تعرض على القلوب، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتت سوداء (نكت فيه نكتة) مثل أثر الدبوس، إذا أخذت دبوسا ونكشت به قماشا أو ضربت به ورقة، فالأثر هذا هو مثل الذي يأتي في القلب، تتخيلون كم نحتاج من مثله ليؤثر في القلب؟ ولاحظوا أحداث الحياة ليست بعبث، إنما هي أقدار مدروسة، وكل واحد منا يقاس له الابتلاء، يبتلي الناس على أقدارهم،فمن كان إيمانه قويًا ابتلاه الله عز وجل على قدر إيمانه، ومن كان إيمانه ضعيفًا ورخوًا، يبتليه على قدر إيمانه.

وفي تتمة الحديث السابق :" فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ" [19] وأسود مربادًا كالكوز مجخيًا، وهذه من أصعب الصفات التي جاءت في وصف القلب، عندما يظلم، وكالكوز مجخيًا يعني مثل الكأس المقلوب، وتخيلوا الكأس وهو مقلوب إذا ما صببنا فوقه ماءً، فلا تدخل فيه أي قطرة من الماء، مهما كان السائل المسكوب لن يدخل إلى

(17) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، وقال الألباني:صحيح

(18) أخرجه مسلم

(19)أخرجه مسلم

الكأس لأنه مقلوب، فلاحظوا وصف النبي -عليه الصلاة والسلام- " وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[20]

ولذلك قيل: (**من غض بصره عن الحرام فإن الله يقذف في قلبه نورًا ويجد متعة ولذة في قلبه أعظم من التلذذ بالمعصية**) فأحيانًا عندما نمر بمنظر حرام في مقطع أو أيا كان، وحتى في حقنا نحن النساء لا تظنون أن هذا الكلام موجه فقط للرجال، إن غض البصر عن الحرام للرجال وللنساء، فلا يجوز لنا رؤية الأفخاذ ولا العورات ولا يجوز لنا أن نفعل حتى لو كانت كافرة أو ممثلة أو مغنية أو فيديو كليب، لا يجوز لنا أن ننظر إلى هذه العورات، فقد يجد الإنسان أن النظر إلى الحرام له لذة وهذه اللذة تكون نتيجة الفضول أو من باب الاستكشاف، يمتع عينيه بالمنظر وبالشيء الجميل كما يظن، ولكن ما لا يعلمه أنك لو أغمضت عينك عن رؤية هذا الشيء، ما سيورثه الله في قلبك من لذة الحلال وامتناعك عن الحرام لذة الانتصار على النفس، لا توازيها لذة المعصية، ومن جرب عرف ولذلك استدل فيها ابن القيم فقال: (فغض البصر يورث في القلب نورًا وإشراقًا)، لأن غض البصر جاء في أي سورة؟ جاءت في سورة النور،

<u>ومن غض بصره عن المحارم فإن له ثلاث لا تخطئه: حلاوة الإيمان ولذته ونور القلب وصحته وشجاعة القلب وثباته، هذا من عمل صالح أنت تفعله.</u>

الخطوة الثالثة عشر في النور: الشيب، وهذه بشارة للناس مثلنا الذين شيبت رؤوسهم، قال النبي -عليه الصلاة والسلام- "لا تنتِفوا الشَّيبَ فإنَّه نورٌ يومَ القيامةِ ومَن شاب شيبةً في الإسلامِ كُتِب له بها حسنةٌ وحُطَّ عنه بها خطيئةٌ ورُفِع له بها درجةٌ"[21]. فلنلاحظ كم شعرة شيب موجودة في الشعر لندرك كرم الله عز وجل، سنين عمرك التي قضيتيها في الإسلام لا تضيع عند الله، فكل شيبة موجودة في رأسك، كل شيبة موجودة في وجهك يجعل الله عز وجل لك بكل شيبة حسنة، وترفعك درجة وتكفر عنك خطيئة، وحتى ونحن مأمورون بتغيير لون الشيب إلا أنه لا يُنتف.

الخطوة الرابعة عشر: الأخوة في الله، فالأخوة في الله والحب في الله أمرها عظيم، أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم،عن أبي مالكٍ الأشعريّ أنّه جمَع قومَه . . . إلى أن قال: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ أَقْبَلَ إِلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ، النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ» . فَجَثَى رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ انْعَتْهُمْ لَنَا حَلِّهُمْ لَنَا، يَعْنِي صِفْهُمْ لَنَا، شَكِّلْهُمْ لَنَا فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

(20)أخرجه مسلم

(21) أخرجه ابن حبان ، وقال الألباني:حسن صحيح.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ».[22] فالعلاقة بينهم لم تكن علاقة مصالح ولا رحم دم، وليس ما بينهم شيء من الدنيا، وإنما تحابوا في الله وتصافوا، فيضع الله لهم يوم القيامة منابرًا من نور يجلسون عليها فيجعل الله وجوههم نورًا وثيابهم نورًا لا يفزعون، هم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون،

فيفزع الناس يوم القيامة ولا يفزع أولياء الله، ولذلك كان الحب في الله هو من أوثق عرى الإيمان، وقد استكمل عرى الإيمان من أحب في الله وأبغض لله.

مشاعر قلبك مهمة، القضية ليست أعمالا جافة ولا قاسية، وليست قضية واجبات، وإنما هي قضية مشاعر قلبك، أتحب ما يحبه الله؟ وهذا الحب لابد من استحضاره وتحسسه في القلب،عَنْ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ " فَقَالَ عُمَرُ: فَلَأَنْتَ الْآنَ وَاللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْآنَ يَا عُمَرُ "[23] فدون أن يكون حبك لله ورسوله أشد من حبك لنفسك لا يمكن أن يكون هذا الحب حقيقيًا.

الخطوة الخامسة عشر لاكتساب النور: العدل والقسط، قال النبي -عليه الصلاة والسلام «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ»في البداية قد نظن أن هذا الحديث يخص القضاة والأمراء، ولكن لنكمل«الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»[24] فيعدلون في كل رعيتهم الذين هم تحت أيديهم، ولا يظلمونهم ولا يقدمون أحدًا على أحد، حتى لو كان ذلك في أبنائهم خاصة.

الخطوة السادسة عشر: ما ورد في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ"[25] لذلك إذا كنت تبحث عن النور فهو في خواتيم سورة البقرة، نحن نقرأها دائمًا قبل النوم وهي أصلًا من أذكار الصباح والمساء، والفاتحة نقرأها في الصلاة أكثر من سبعة عشر مرة.

الخطوة السابعة عشر: الوضوء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبَرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

---

(22)أخرجه أحمد في المسند، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(23) أخرجه أحمد في المسند، وقال المحقق: حديث صحيح.

(24)أخرجه مسلم

(25) أخرجه مسلم.

فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:" فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ..."[26]

الخطوة الثامنة عشر والأخيرة: الدعاء، وكان من دعاء النبي -عليه الصلاة والسلام- ونختم به أنه كان يقول: " «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا»"[27] وفي رواية:(وأعظم لي نورًا)[28] وفي رواية: (اللهم أعطني نورًا) [29]

وما ورد في دعاء النبي -عليه الصلاة والسلام- في قضية النور كما ورد في هذا الدعاء بهذا التكرار. فاللهم اجعل في قلوبنا نورًا وفي أبصارنا نورًا وفي سمعنا نورًا وعن أيماننا نورًا وعن يسارنا نورًا وفوقنا نورًا وتحتنا نورًا وأمامنا نورًا وخلفنا نورًا واجعل لنا نورًا وأعظم لنا نورًا واجعلنا اللهم ممن أنرت قلوبهم بالإيمان واجعلنا في هذا الشهر من المعتوقين من المقبولين من الذين أنرت قلوبهم بنور القرآن وينور الإيمان هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

(26) أخرجه مسلم

(27) أخرجه البخاري، صحيح.

(28)أخرجه مسلم، صحيح.

(29)أخرجه مسلم، صحيح.